مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، العدد الـ٦٣، صيف ١٤٠١ هـ. ش/ ٢٠٢٢ م؛ صص٣٠-١

تحليل الخطاب النقدي لشعر النقائض وفقًا لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية (نقيضة الفرزدق وجرير أنموذجًا)

نوع المقالة: أصيلة

محمدحسن امرائی*

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ولايت، إيرانشهر، إيران.

تاريخ استلام البحث: ١٤٠٠/٠٤/٠٩ تاريخ قبول البحث: ١٤٠٠/١١/٠٢

الملخّص

إنّ تحليل الخطاب النقدي من المناهج العلمية المتبعة لتحليل الخطاب في الدراسات اللغوية التي رفعت تحليل الخطاب نظريًا ومنهجيًا من مستوى وصف النص إلى مستوى التفسير، ومن حيث نطاق البحث، فقد وسع مستواه السياقي من موقع الفرد إلى المستوى الكلي، أي المجتمع والتاريخ والأيديولوجيا. إن الغرض الرئيسي من تحليل الخطاب هو اكتساب تقنية جديدة في دراسة النصوص ووسائل الإعلام والثقافات والعلوم والسياسة والمجتمع وما شابه ذلك. لقد أُختيرت في هذا المقال، نظرية تئون فان دايك الاجتماعي المعرفي (Socio-Cognitive Approach) كطريقة خاصة لهذا البحث؛ إذ اتخذ شكل تحليل الخطاب النقدي لديه نهجًا مختلفًا عن الآخرين؛ حيث ركّز على دور المعرفة في تحليل الخطاب النقدي والتواصل والتفاعلات الاجتماعية. فنجح من خلال ربط المفاهيم الثلاثة للخطاب والمعرفة والمجتمع، أن يقوم بمثلث شكل أساس نظريته المتميزة لتحليل الخطاب النقدي. في المجال ذاته، تُعدُّ النقائض الشعرية بين الفرزدق وجرير في العصر الأموي من الأعمال الهامة التي تمكن دراستها في سياق تحليل الخطاب النقدي؛ حيث تسمح للمحلل والناقد بالكشف عن العلاقة بين السلطة والأيديولوجيا والخطاب فيها. هذا المقال يسعى إلى تحليل النقيضتين الهجائيتين المختارتين هما: «إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنى لَنَا» للفرزدق و«لِمَنِ الدِيارُ كَأَنَّها لَمَ تُحلَلِ» لجرير بن عطية، معتمدًا على المربع الأيديولوجي لفان دايك الذي يفحص موضوع النقيضتين من منظور التأكيد على الأنا (الذات) وتهميش الآخر (الرقيب)؛ حتى يكشف عن كيفية تمثيل أيديولوجية الشاعرين في نقيضتيهما الهجائيّة. ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا المقال هي أن إبراز النقاط السلبية للآخر في كلتا النقيضتين أقوى بكثير من إبراز النقاط الإيجابية للأنا وهكذا خُلقت عملية الاستقطاب وخلق المسافة بين الذات والآخر. إنّ تشابه البنى الشكلية جعل خطاب كلتا النقيضتين ذا أرضية مشتركة له تصميمات متشابهة تخضع لعلاقات القوة والإيديولوجيا.

الكلمات الرئيسة: تحليل الخطاب النقدي، فان دايك، الإبراز، التهميش، النقائض، الفرزدق، جرير بن عطية.

---

*الكاتب المسؤول m.amraei@Velayat.ac.ir

١. المقدمة

إنّ الخطاب هو الصلة بين الكلام والعرف الاجتماعي، وفي غضون ذلك، يعني تحليل الخطاب تضمين الآلية المناسبة وتطبيقها في اكتشاف وشرح ارتباط الكلام أو النص مع الوظائف الفكرية والاجتماعية (الأيديولوجية). إنّ مفهوم الخطاب كمصطلح لغوي على نطاق أوسع من مستوى النص يلفت الانتباه إلى الدراسة اللغوية. بالإضافة إلى مكونات النص، يأخذ الخطاب أيضًا في الاعتبار العوامل غير النصية، وخاصة السياق الظرفية، وسيكون الخطاب والتحليل ممكنًا بلا شك من خلال النظر في سياق الموقف وفضاء تطبيقي. يستكشف نهج تحليل الخطاب النقدي الكلام بمزيد من العمق. إنّ إيلاء اهتمام خاص للأيديولوجيا وعلاقات القوة، وكذلك تجاوز مستوى التفسير والوصول إلى شرح المعنى وعمقه، سوف يبرز جانبه النقدي (تركاشوند، ١٣٩٥ش: ٨٣).

يتّضح أنّ تحليل الخطاب، على عكس التحليلات اللغوية التقليدية الأخرى، لا يتعامل فقط مع العناصر النحوية والمعجمية التي تتكوّن منها الجملة، كأساس رئيسي لتفسير المعنى، أي سياق النص؛ بدلًا من ذلك، فهو مرتبط بعوامل خارج النص، مثل النسيج الظرفي، والثقافي، والتاريخي والاجتماعي، وما إلى ذلك (يارمحمدي، ١٣٨٥ش: ٣٤). لذا فإنّ للخطاب جانبًا تفاعليًا وليس نصًا لغويًا ثابتًا. يسعى تحليل الخطاب إلى إعادة قراءة شروط إنتاج المعنى (تحليل السياق الخارجي)، ومن هذا المنظور، يُعتبرُ السياق عنصرًا أساسيًا في عملية تحليل الخطاب (عكاشة، ٢٠١٣م: ٨٩).

يؤكد تئون فان دايك، على أنّ الأيديولوجيات يتمّ التعبير عنها في الغالب على أساس المربعات الأيديولوجية. أي إنّ الأيديولوجيا وعلاقات القوة توجه العمل الاجتماعي، ويرتبط الخطاب وتحليل الخطاب ارتباطًا وثيقًا بالعمل الاجتماعي والأيديولوجيا. وفي هذا الصدد، يتمّ التأكيد على البعد الاجتماعي للغة (Van Dijk, 2006: 121). بمعنى آخر، فإنّ الهياكل الموجهة للخطاب هي لغوية أو تاريخية أو اجتماعية أو مزيج من المكونات التي تعكس وجهة نظر أو أيديولوجية اجتماعية معينة (يارمحمدي، ١٣٨٥ش: ٣٨).

وفقًا لنظرية فان دايك، من خلال التركيز على النقاط الإيجابية لـ"أنا" أو "نحن" والنقاط السلبية لـ"الآخر" وتجاهل النقاط السلبية لـ"أنا" والنقاط الإيجابية لـ"الآخر" يمكن أن يتغلغل في النظام الفكري للأفراد ويحدث تغييرات تدريجية فيه. بمعنى آخر، في رأيه، فإنّ الاستراتيجية العامة للحديث

عن الآخرين هي أن تكون إيجابيًا وأن يكون سلبيًا يبرر وجود الاستقطاب في المجتمعات (المصدر نفسه: ١٢٧). في المجال ذاته، فإن المهاجاة الشعرية السائدة بين الفرزدق وجرير هي صراع نوعين من المعتقدات والأيديولوجيات بل هي مواجهة بين تيارين وفكرتين يسعى كلّ طرف منهما إلى إضفاء الشرعية على فكره من خلال وصف نفسه بأنّه مرغوب فيه وعزو الآخر على أنّه قبيح ومثير للاشمئزاز. فمن هذا المنطلق، يعتزم المؤلف الكشف عن العلاقة بين الخطاب والأيديولوجيا في النقيضتين المنتخبتين هما: «إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنى لَنَا» للفرزدق و«لِمَنِ الدِيارُ كَأَنَّها لَمَ تُحلَلِ» لجرير بن عطية، حتى يوضح كيف يتشكل الخطاب الأيديولوجي كوسيلة لتأكيد هيمنة شاعر على آخر، وفقا لمربع فان دايك الأيديولوجي (٢٠٠٣م) مجيبًا عن الأسئلة المطروحة في هذا المجال وهي:

١. إلى أيّ مدى تمكنت النقيضتان من إبراز هوية الأنا (الذات) في مواجهة هوية الرقيب (الآخر)؟

٢. ما أبرز مظاهر هوية الشاعر (الأنا) على مستوى الخطاب ضد هوية الرقيب (الآخر)؟

٣. ما أهمّ وأقوى المستويات لخطاب فان دايك في إبراز وتهميش خطاب هاتين النقيضتين؟

والفرضيات التي بني عليها هذا المقال، هي:

١. في هاتين النقيضتين، تمّ تجسيد هوية الشاعر في اتجاه إيجابي لنفسه واتجاه سلبي للرقيب (الآخر) بغية الكشف عن هيمنة هوية الشاعر (الأنا).

٢. أبرز جوانب الخطاب في النقيضتين المدروستين هو ما تمثّل في التركيز على النقاط الإيجابية للأنا عند كلا الشاعرين.

٣. كان لمستوى المعنى، والتفاصيل والتركيبات الشكلية وأشكال الخطاب، تأثير أكبر في إبراز وتهميش خطاب النقائض.

١-١. منهجية البحث

مقاربة تحليل الخطاب النقدي هي مسار تطوري لتحليل الخطاب في الدراسات اللغوية الذي رفع تحليل الخطاب نظريًا ومعرفيًا من مستوى وصف النص إلى مستوى التفسير. وفيما يتعلق بنطاق البحث، فقد وسع نطاقه أيضًا من نسيج الفرد إلى المستوى الكلي، أي المجتمع والتاريخ

والأيديولوجيا. إنّ مقاربة تحليل الخطاب النقدي هي منهج علمي تستخدم الأدوات اللغوية المناسبة في التحليل النوعي للنص وتعتمد على دراسة الأيديولوجيا. لذلك، تمّ اختياره لهذا البحث.

١-٢. هدف البحث وأهميته

كان للفرزدق وجرير أوجه مشتركة عدة في حياتهما الفردية والاجتماعية والأدبية. ولاسيما في إلقاء النقيضتين؛ حيث تشابكت مصالحهما ودخلا في صراع شعري مرير استمر زهاء أربعين سنة. ومن هنا يأتي سبب اختيارنا لهذا البحث وهو معرفة كيفية الخطاب وعناصره وتمثيل أيديولوجيهما الخاص عن طريق الكشف عن طبقات النص التحتية والفوقية بشكل أعمق في كلتا النقيضتين من وجهة نظر فان دايك النقدية.

١-٣. خلفية البحث

هناك دراسات كثيرة لكتاب العرب ونقادهم حول أشعار النقائض، ولا سيما نقيضتي الفرزدق وجرير في شكل المقالات والكتب والأطروحات الجامعية، ومنها:

«الهجاء عند الفرزدق وجرير» وفي هذا الكتاب قام الباحث خالد يوسف (٢٠١٠م) بدراسة الهجاء وأقسامه المختلفة السائدة بين الفرزدق وجرير.

«صورة الفخر والهجاء في شعر النقائض» رسالة الماجستير في قسم اللغة العربية في جامعة الخرطوم بالسودان، أعدتها الطالبة رشا عبيد عباس (٢٠٠٧م)؛ حيث هدفت إلى تناول النقائض ما قبل العصر الاموي وصور المناقضة في القرآن الكريم، والطرق التي اعتمدها المتناقضون في الملاحم الشعرية.

«القيمة الفنية في شعر النقائض الفرزدق أنموذجا» أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي والفنون للباحثة إلهام شهود (٢٠١٧م) في جامعة عبد الحميد بن باديس – المستغانم؛ حيث درست في فصلها الأول خصائص شعر النقائض وقيمتها ونشأتها وأسباب ظهورها ومميزاتها الأدبية، أما الفصل الثاني فهو نموذج تطبيقي لقصيدة العصماء للفرزدق وتناولت فيها مناسبة القصيدة وقيمتها الفنية.

«الخطاب في شعر النقائض – نقائض جرير و الفرزدق – دراسة تداولية» مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية للباحثة جبارية مصطفاوي (٢٠١٥م) في جامعة

محمد خيضر بسكرة – الجزائر. والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التداولي الذي يبحث الجوانب التداولية في شعر النقائض.

«الهجاء بالمرأة في نقائض جرير والفرزدق» مقال لجميل بدوي حمد الزهيري، وهادي سدخ زغير العزاوي (٢٠٠٩م) طبع في مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية بجامعة القادسية في العراق. يهدف هذا البحث إلى دراسة الهجاء بالمرأة، في دواوين الفرزدق وجرير بن عطية.

«تحليل اجتماعی– شناختیِ گفتمان نقایض جریر و اخطل بر اساس مربع ون دایك»، مقال للباحثين حسن اعظمی خویرد وعبدالباسط عرب یوسف‌آبادی، طبع في مجلة أدب عربي بجامعة طهران (١٣٩٩ش). في هذه الدراسة جرت محاولة جادة لفحص المستويات الخطابية في نقيضتي «اِنعَقْ بِضَأنِك يا جَريرُ» للأخطل و«قَبَحَ الإِلَهُ وُجوهَ تَغْلِبَ» لجرير، من خلال الاعتماد على المربع الأيديولوجی لفان دایك فی تحليل الخطاب.

وغيرها من الدراسات المتناثرة في ثنايا الكتب والمجلات المنشورة في المواقع الإلكترونية الّتي ربّما جاءت بأشياء مهمّة عن شخصية الشاعرين الأمويين وأدبهما وفاتتها أشياء أخرى لا تقلّ أهمية عنها. في المجال ذاته، لقد كتبت العديد من الدراسات القيمة عن جرير والفرزدق وأدبهما، وقد درس كلّ منها الشاعرين وحياتهما الأدبية والعلمية من زوايا مختلفة وأبدت نقاطًا رائعةً ومفيدةً؛ على الرغم من عدم وجود حاجة أو فرصة لذكر هذه الأعمال في هذا المقال، لكن المؤلف يدرك جيدًا أن هذه الأعمال تشبه الأضواء الساطعة، كلّ منها ينير ركنًا من الظلام للباحثين ويساعدهم كثيرًا في تحقيق أهدافهم وتطلّعاتهم.

يؤكّد المؤلف كذلك على أنّه انتفع بهذه الأعمال القيمة المدروسة في هذا المجال وملأ أمتعته بها، وفي نفس الوقت يحترم جهود هؤلاء العظماء. لكنّه يقول بتواضع إنّه لا يزال هناك مجال للنقاش؛ إذ – على حد علم صاحب هذا القلم – إنّ المصادر الّتي تناولت نتاجات الشعراء العرب القدامى، لم تلتفت إلى تحليل الخطاب النقدي في أشعار النقائض على حد الكفاية. إذًا فنحن حاولنا تحليل الخطاب في النقيضتين المختارتين الأخريين هما: «إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنى لَنَا» للفرزدق و«لِمَنِ الدِيارُ كَأَنَّها لَمَ تُحلَلِ» لجرير بن عطية، معتمدين على المربع الأيديولوجي لفان دايك. تُعدُّ هذه الدراسة من الدراسات الأسلوبية المفيدة للقراء؛ إذ إنّها تكشف عن خطاب الشاعرين ومكوناتها

الخاصة والعامة وفقا لنظرية فان دايك الاجتماعية المعرفية (٢٠٠٣م)، وتشير إشارة سريعة عابرة منحصرة في إيراد شواهد شعرية متفاوتة مع تحليلات وتنقيبات جديدة لم تدرس بعد.

٢. الإطار النظري للبحث

٢-١. تحليل الخطاب النقدي والأدب

إنّ تحليل الخطاب هو موضوع متعدد التخصصات له جذوره في مجال علم اللغة العامّ ونهجه الجديد والمتطوّر، أي علم اللغة النقدي، ويليه تحليل الخطاب النقدي في العقود الأخيرة في مجموعة واسعة من العلوم مثل الأدب وعلم الاجتماع والفلسفة والعلوم السياسية والفنون وعلم النفس. يرتبط تحليل الخطاب النقدي والنقد اللغوي بالأدب من خلال دراسات تحليل النصوص الأدبية، وعلم الأسلوب والنقد الأدبي.

يعتقد محللو الخطاب النقدي بأنّ النصوص الأدبية، مثل النصوص الأخرى، تخدم التواصل؛ لذلك، يمكن أيضًا تحليلها بناءً على المقاربة النقدية (آقاگل‌زاده، ١٣٨٦ش: ١٧). يُعتبرُ التاريخ والبنى الاجتماعية والأيديولوجيا المصادر الرئيسية للمعرفة في النقد اللغوي، ويعتقد المحللون النقديون لنهج تحليل الخطاب النقدي بأنّ إنتاج النصوص وفهمها وقراءتها وتحليلها تعتمد على النسيج الجزئي والكلي وتشمل عوامل متعددة مثل القضايا الفلسفية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والأيديولوجية والخطابية؛ لأنّ العلاقة بين الناس والمجتمع ليست عشوائية وتعسفية، بل تحددها المؤسسات الاجتماعية والعوامل الأخرى التي تشارك في الخطاب، ويتمّ إنتاج الأدب والنصوص الأدبية لكل فترة وتحليلها وتفسيرها في سياق محدد. في هذا الصدد، قدم علماء اللغة الناقدون مثل فاولر نماذج لتحليل وتفسير ونقد النصوص الأدبية (فاولر، ١٩٩٦م: ١٦). وفيما يتعلق بالعلاقة بين الأدب وتحليل الخطاب النقدي، يمكن القول إنّ علم اللغة وتحليل الخطاب النقدي، في الأنواع الأدبية والأسلوبيّة والنقد الأدبي، فعال للغاية في تحديد الأطر النظرية وأنماط التحليل.

ظهرت مسألة اللغة، والأيديولوجيا، والرؤية الكونية، والسلطة، وهي مفاهيم أساسية في تحليل الخطاب النقدي، بشكل بارز للغاية في تحليل النصوص الأدبية. على سبيل المثال، يمكننا التفكير في رؤية رونالد كارتر (Carter Ronald)، الذي يعتقد أنّه لا يمكن تعريف كلمة الأدب

بمعزل عن مصطلح أيديولوجيا؛ لأنّ الوضع الاجتماعي الثقافي للمحلل يتطلب أن يكون وصف النصوص وتحليلها مصحوبًا بإشراك العوامل السياسية (سيمپسون، ١٩٩٣م: ٨٨).

يعتبر المحللون الخطاب النقدي والأدب والأعمال الأدبية والفنية بالإضافة إلى النصوص السياسية والاجتماعية وغيرها في خدمة الاتصال. لذلك، يقومون أيضًا بتحليل النصوص الأدبية وتفسيرها وشرحها بأسلوب ومقاربة نقدية (آقاگل‌زاده، ١٣٨٦ش: ٢٦). في السياق ذاته، إذا قبلنا أن كل ما يتعلق باللغة المنطوقة والمكتوبة يقع في نطاق تحليل الخطاب. فبالتالي، يمكن تحليل الأدب الشفوي والمكتوب للأمم وتفسيره بأيّ لغة في إطار تحليل الخطاب النقدي واللغوي.

٢-٢. مقاربة تئون فان دايك

إنّ وجهة نظر تئون فان دايك عن الخطاب جديرة بالملاحظة والاهتمام؛ حيث يقول في تعريفه للخطاب: "أتمنى أن ألخص ما أعرفه عن الخطاب في تعريف بسيط". ومضى يقول إنّ مفهوم الخطاب، كمفاهيم مثل اللغة والتواصل والتفاعل والمجتمع والثقافة، غامض بشكل أساسي". وفقًا لوجهة نظره، فإنّ الخطاب هو شكل من أشكال "استخدام اللغة" أو "اللغة المنطوقة" أو "أسلوب التحدّث"؛ حيث يولي اهتمامًا خاصًا بأحد أنواع استخدام مصطلح الخطاب التي يمكن رؤيتها في وسائل الإعلام أو بعض العلوم الاجتماعية.

وفقًا لرؤية فان دايك، فإن إحدى مكونات الخطاب التي تخلق بعض الجوانب الوظيفية هي ظاهرة الاتصال أو الارتباط. أي إنّ الناس يستخدمون اللغة لتوصيل الأفكار والمعتقدات كما يؤدون هذا العمل كجزء من الأحداث الاجتماعية وفي مواقف محددة مثل مقابلة الأصدقاء، أو التحدّث عبر الهاتف، أو التدريس في الصف، أو إجراء مقابلات شخصية للعثور على وظيفة، أو مقابلة طبيب، أو أثناء كتابة أو قراءة تقرير إخباري و... (فان دايك، ١٣٨٢: ١٧).

يرى فان دايك أنّ الأبعاد الرئيسية الثلاثة للخطاب هي استخدام اللغة، والتواصل بين المعتقدات أو المعرفة، وأخيرًا التفاعل في المواقف الاجتماعية. يوضح فان دايك أنّ استخدام اللغة لا يقتصر على اللغة المنطوقة والبيانيّة، بل يمكن أيضًا أن يمتد ليشمل التواصل والتفاعل واللغة المكتوبة. يحدث هذا الاستخدام للغة، على سبيل المثال، عندما نقرأ صحيفةً أو كتابًا أو أي نوع آخر من النصوص المكتوبة. (*المصدر نفسه*: ١٨). في المجال ذاته، يسعى تحليل الخطاب النقدي في علم

اللغة إلى إظهار حقيقة الخطابات كما هي من خلال المناهج اللغوية ومساعدة الناس على اكتشاف المعاني الحقيقية والخفية للنص والخطاب خارج الشكل اللغوي (مكاريك، ١٣٨٥ش: ١٦٠). يقدم هذا النمط القوة الكامنة وراء الخطابات مع الاستراتيجيات اللغوية. وتعتبر مفاهيم القوة والأيديولوجيا والهيمنة من أهمّ المفاهيم في هذا المجال.

٢-٣. مربع فان دايك الأيديولوجي

يرى تئون فان دايك، أنّ الأيديولوجيات هي معتقدات أساسية تكمن وراء التمثيلات الاجتماعية الشائعة لأنواع معينة من المجموعات الاجتماعية. هذه التمثيلات، بدورها، هي أساس الخطاب والممارسات الاجتماعية الأخرى. إنّ نموذج فان دايك، للغة والأيديولوجيا والخطاب هو نموذج ثلاثي الأبعاد يتضمن الخطاب والمعرفة والمجتمع. وفقًا لرأيه فإنّ الأيديولوجيات هي أنظمة وقيم اجتماعية أو سياسية للمجموعات الاجتماعية السياسية (الخطابات المتنافسة) التي تلعب دورًا رئيسيا في تنظيم وتحديد وإضفاء الشرعية على أفعال تلك المجموعة أو الخطاب. ومن وجهة النظر هذه، تكمن اللغة في بنية العمليات الاجتماعية والسياسية والأيديولوجية، والنص هو نتاج عملية الخطاب.

يعتقد فان دايك بأنّه من أجل اكتشاف الهياكل الأيديولوجية، يجب على المرء أن يبدأ من النص اللغوي كي يصل إلى نص المجتمع، وذلك بالتعاون مع مراكز السلطة والمراكز الأيديولوجية لتلك المجموعة، إلى جانب توظيف البنى الاستعارية والإبراز، حتى ينتج أسلوبًا خاصًا للنص. فمن هذا المنطلق، يؤكد تئون فان دايك، على نظرية المربع الأيديولوجي من خلال التأكيد على أنّ الأيديولوجيا يمكن تمثيلها في اللغة.

يستند مربع فان دايك الأيديولوجي (square ideological) على أربع ركائز رئيسية يستخدمها أنصار أي أيديولوجية على مستويات مختلفة. لا تُستخدم هذه الركائز الأربع في الصراعات الجماعيّة والتفاعلات مع المجموعات المتعارضة فحسب، بل عندما نفكر في أنفسنا والآخرين، بوعي أو بغير وعي، فإنّ هذه المبادئ الأربعة تحكم أفكارنا ومشاعرنا وسلوكياتنا. والأركان الأربعة هي: ١. التأكيد على معلومات تحتوي على نقاط إيجابية عنا "الذات". ٢. التأكيد على معلومات تحتوي على نقاط سلبية عنهم (الآخرون). ٣. التهميش وإزالة التأكيد من المعلومات التي تحتوي على نقاط سلبية عنا "الذات". ٤. إزالة التركيز من المعلومات التي تحتوي على نقاط إيجابية عنهم (الآخرون). بإمكاننا

أن نحوّل هذه الركائز الأربع إلى ركيزتين عامتين: الوصف الإيجابي لمجموعتنا وأعضائها (نحن) والوصف السلبي للمجموعة المعارضة أو الأعداء والمعارضين (الآخرون).

إنّ دراسة نقيضتي الفرزدق وجرير الهجائيتين وفقا لأسلوب تحليل الخطاب النقدي لفان دايك بإمكانها أن تكشف عن الزوايا الخفية للنص وأيديولوجية الشاعرين في تأليف قصيدتيهما الهجائيتين بالاعتماد على العوامل والآليات اللغوية. نوضح نظرية فان دايك الأيديولوجية وفقًا للرسم البياني التالي:

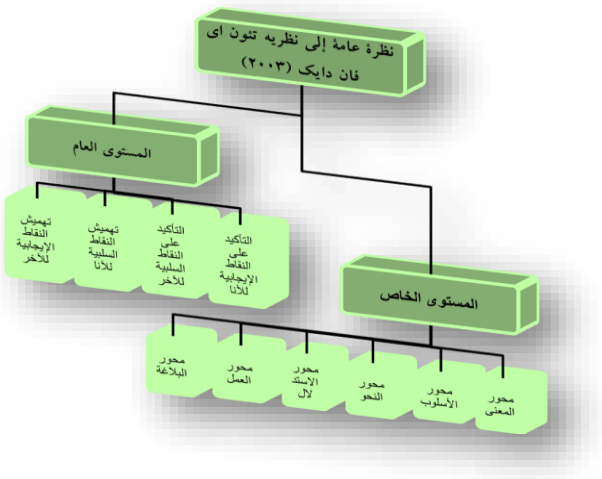

٣. الإطار التطبيقي للبحث

ههنا نتطرّق إلى المستوى العام للخطاب في النقيضتين:

٣-١. إبراز النقاط الإيجابية الخاصة بالأنا

يمكن ملاحظة أنّ الاختلافات بين جرير والفرزدق، لم تكن شخصية أو شعرية بطبيعتها. بل يجب البحث عن السبب الجذري لهذه النزاعات في التحيزات العرقية، والخلافات السياسية بين مختلف الأحزاب، واستفزازات بعض السياسيين في ذلك الوقت. فمن هذا المنطلق، لقد حدثت معارضة شعرية شاملة بين الشاعرين الأمويين المرموقين اللذين يُعتبران ممثلين لتيارين وأيديولوجيين اثنين يدعيان

كلّ منهما الهيمنة في خطابهما. في المجال ذاته، إنّ المربع الأيديولوجي لفان دايك يسلط الضوء على السمات المتناقضة للخطابات ويبرر وجود الاستقطاب بين الأنا والآخر. هذا، والفرزدق يعرف قوته هي المكانة الاجتماعية والقومية العريقة التي يكتنفه الشرف والسيادة والعلو من كل جانب؛ إذن فيفتخر بنسبه ومكانته القومية مهاجيًا خصمه، جرير بن عطية، وبهذا الشكل يوفّر مستلزمات الاستقطاب التي ينوي بها الفرزدق التفريق بين هويته الغالبة وهوية الرقيب المغلوبة، قائلًا:

١. إنّ الذي سَمَكَ السّـــماءَ بَنى لَنَا بَيْتًـا، دَعَـائِمُـهُ أعَزُّ وَأطْوَلُ
٢. بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا المَلِيكُ، ومَا بَنى حَكَمُ السّـــمَاءِ، فإنّهُ لا يُنْقَلُ
٣. بَيْتًـا زُرَارَةُ مُحْتَـبٍ بِفِنَـائِـهِ وَمُجاشِـعٌ وَأبُو الفَوَارِسِ نَهْشَـلُ
٤. يَلجُونَ بَيتَ مُجاشعٍ، وَإذا احتبَوْا بـزُوا كَـأنّهُـمُ الجِـبَـالُ المِـثّـلُ
٥. لا يَحْتَبِي بِفِنَـاءِ بَيْتِـكَ مِثْلُهُمْ أبدًا، إذا عُدّ الفَعَالُ الأفْضَـلُ

(الفرزدق، ١٩٨٧م: ٤٨٩)

حاول الشاعر، من خلال هذه المقطوعة الشعرية الإعلان عن مكانته الاجتماعية الرفيعة، فقام بإتيان الهياكل اللغوية المطلوبة واحدة تلو الأخرى بطريقة تنقل إيديولوجيته المطموحة والمرغوبة بشكل جيد. إنّ الفرزدق يرى أنّ الأصول والأجداد الكريمة والمكانة العالية كلّها حكر على الشاعر وأجداده إذن فيفتخر بقبيلته ومكانته الرفيعة ويشبّه هذه المكانة العظيمة بالبيت الذي قد اكتنفه العز والشرف من جميع أكنافه. رسم الشاعر ههنا صورة مادية لهذا البيت المعنوي وجعله يبدو كبيت عربي به فناء يحتبي فيه زرارة ومجاشع ونهشل وهم أبناء دارم جد عشيرة الفرزدق الذين يفتخر بهم على جرير لما كان لهم من وجاهة وفروسية ورئاسة في الجاهلية. فلهذا على القارئ أن تكون لديه معلومات تاريخية قيمة عن بيت الفرزذق وأبناء دارم حتى يحصل على معنى إيدئولوجي في تفوق بيت الفرزدق على جرير. في السياق ذاته، إذا ركّز القارئ فقط على معنى الكلمات وبنية الجملة في النظام اللغوي للنص، فستصبح معان عديدة للنص مستورة عليه؛ لأنّ عامل إنتاج المعنى وفهم النص ليس فقط شكله النحوي؛ بل هناك عناصر وظيفية، وعوامل ما فوق اللغة بشكل عام متورطة في إنتاج المعنى وفهم النص، وفهم النص لا يعتمد فقط على المعنى اللغوي (آقاگل‌زاده، ١٣٨٥ش: ٨٤-٨٣). فإنّ جريرًا إذ يدرك أساليب إعادة إنتاج الهيمنة في الخطاب، يحاول التعبير عن نقاط ضعف

البيت المذكور ويعتبره بيتًا مهجورًا، دنسًا؛ وفي الوقت نفسه، يؤخذ في الاعتبار جميع عوامل وعناصر السياق في وضع يمكّنه من تقديم إدراك ديناميكي وعميق وكامل للخصم وأسلافه الحدادين. قائلا:

١. أَخزى الَّذي سَمَكَ السَمـاءَ وَبَنى بِناءَكَ في الحَضيضِ الأَسفَلِ
٢. بَيتًـا يُجَمِّمُ قَينُكُم بِفَنـائِـهِ دَنِسًـا مَقاعِدُهُ خَبيثَ المِدخَلِ
٣. وَلَقَـد بَنَيـتَ أَخَسَّ بَيـتٍ يُبتَنى فَهَـدَمـتُ بَيتَكُمُ بِمِثلَي يَـذبُـلِ

(جرير، ١٩٨٦م: ٣٥٦)

يولي جرير اهتمامًا خاصًا للأيديولوجيا كعامل موجه للنص ومهيمن في الخطاب، فيردّ اعتداد الفرزدق ببيته فيحاول جهد استطاعته أن يطعن فيه ليخرجه من دائرة النسب العربي الخالص. كما يؤكد قوله في بني مجاشع إنّ الله أرادهم أذلاء فيقول إنّ الذي من قدرته الرفع، قادر أيضا على الخزي، فقد أخزاك الله وأهانك يا فرزدق! إذ جعل بيتك في الحضيض الأسفل. يتّضح أنّ الشاعر يتوخى أن يكشف عن ضعف نسب الفرزدق ومكانتهم. إذن فنراه يسمي بني مجاشع بالحدادة وهذه الصناعة يقوم بها العبيد مما ينفي عن الفرزدق صفة الملوكية التي يتباهى بها. فإنّه يريد بهذه الإيديولوجيا، أن يسحب الفرزدق من سيادته ومكانته الرفيعة إلى الأسفل.

٣-٢. إبراز النقاط السلبية للآخر

إنّ الفرزدق لا يركّز على إعلاء شأن الآباء في أشعاره فحسب بل نراه يهجو جريرًا بأمرّ لهجة يوظّفها في حياته اليومية؛ حيث يسمّيه بـ«ابن مراغة» و«العبد» و«اللئيم» و .... إلخ. يرى الفرزدق أنّ جرير بن عطية ليس من دارم كما يدّعي وهو في هذا المجال، يشبه بعبد ينسب نفسه إلى أب غير أبيه الحقيقي. يريد الفرزدق بهذا أن يُظهر فجوة نسبية عميقة بينه وبين جرير؛ متوخيًا التركيز على عزته وسيادته التي لا يمكن تجاهلها:

١. وابنُ المرَاغَـةِ يَـدَّعي مِنْ دارِمٍ وَالعَبْـدُ غَيرَ أبِيـه قَـدْ يَتَنَحّـلُ
٢. لَيْسَ الكِرامُ بنـاحِليـكَ أبَاهُمُ حـتى تُـرَدّ إلى عَـطيّـةَ تُـعْتَـلُ
٣. وَزَعَمْتَ أنّكَ قَدْ رَضِـيتَ بما فَاصْبِرْ فما لكَ، عَن أبيكَ، مُحَوَّلُ
٤. وَلَئِنْ رَغِبـتَ سـوى أبيـكَ عَبْـدًا إلَيْـهِ، كَـأنّ أنْفَـكَ دُمَّـلُ
٥. أزْرَى بجَرْيِـكَ أنّ أُمّـكَ لَمْ تَكُنْ إلاّ اللّئِيمَ مِنَ الفُحُولَـةِ تُفحَـلُ

(الفرزدق، ١٩٨٧م: ٤٩٤)

إنّ الشاعر أراد أن ينقل فكرة أو إيديولوجيا عامة في شعره وهي أفضليته النسبية والقومية أمام جرير بن عطية؛ فمن ثمّ نراه ركّز على منظومة إيديولوجية رمزية ذات طابع مهيمن مستذكرًا بعض الشواهد الشخصية والتاريخية الخاصة التي تتطلب معلومات هائلة في هذا المجال. إنّ معنى الإشارات التاريخية أعلاه يختلف باختلاف المواقف، وهو السياق الخارجي، وإذا أتبع الفرد مقاربة الخطاب، فيمكنه الوصول إلى المعاني غير المستقرة للإشارات بمساعدة السياق الخارجي ونقلها بدقة أكبر. لا شك أن أيديولوجية النصوص مستخرجة من أعماق بنية المفردات والجمل ولا من ظاهرها. بلغة أبسط، تحليل الخطاب النقدي، الذي يتجاوز البنيوية وما بعد البنيوية، هو الذي يحدد عمق المعنى، وعناصر مثل الإشارات التاريخية، واللغوية وخاصة الظرفية، هي الوسائط والطرق للوصول إلى هذا العمق.

وفي موضع آخر، يقارن الفرزدق بين نسبه ونسب جرير مشيرًا إلى خاله، حبيش بن دلف مستذكرًا بعض فضائله وبفعله هذا يريد أن يكشف عن عيوب جرير ودونيته النسبية، وبالتالي يحاول أن يثبت تفوقه القومي والنسبي عليه، وفي السياق ذاته، يكرر الفرزدق في شعره كلمة ابن المراغة، وغيرها من الحمولات الدلالية السلبية التي يحاول من خلال تكرارها التعبير عن أهميتها في هذا النقاش الشعري الديالكتيكي وتعديل الهياكل اللغوية بطريقة تنقل الأيديولوجية الفائقة المطلوبة التي يترصدها الشاعر بشكل جيد، حيث يقول:

١. يا ابن المرَاغَـةِ أيْنَ خَـالُـكَ؟ إنّني خـالي حُبيشٌ ذو الفَعـالِ
٢. خـالي الـذي غَصَـــبَ المُلوكَ وإلَيْـهِ كَـانَ حِبَـاءُ جَفْنَـةَ يُنْقَـلُ
٣. إنّا لَنَضـــرِبُ رَأسَ كُـلّ قَبِيلَـةٍ وأَبُـوكَ خَـلْـفَ أتَانِـهِ يَـتَـقَـمّـلُ
٤. وَشُـغِلتَ عن حَسـبِ الكِرَامِ إنّ اللّئيمِ عَنِ المكَـارِمِ يُشْـغَـلُ

(المصدر نفسه: ٤٩٢-٤٩٣)

في المقابل، نرى جرير بن عطية ينتصب للفرزدق ويعيره بابن القيون كما يطعن في نسب والد الفرزدق فلذلك جعل مجاشعًا قيونًا:

١. إنّي بنى لِيَ في المكـارِمِ أوّلي ونَفَخـتُ كِيرَكَ في الزمـانِ الأولِ
٢. أعيتكَ مأثُرَةُ القُيُونِ مُجاشِـــعٍ فـانظرْ لعلّكَ تدّعي من نهشـــلِ
٣. وَامدَح سَـــراةَ بَني فُقَيمٍ إنّهُم قَـتَـلـوا أَباكَ وَثَأرُهُ لَم يُـقـتَـلِ

(جرير، ١٩٨٦م: ٣٥٨)

فإنّ جريرًا، إذ يدرك أساليب إعادة إنتاج الهيمنة في الخطاب، يمارس عملية إنتاج ومعرفة الخطاب في آن واحد عبر التأكيد على نقاط الفرزدق السلبية. فبالتالي يحاول التعبير عن نقاط ضعف الفرزدق وقبيلته وإخفاقاتهم وكشف الستار عن عيوبهم وماضيهم المفعم بالانكسارات، مذكرًا شيئًا من مفاخر نفسه؛ فمن هذا المنطلق، نرى جريرًا يهجو الفرزدق ويلقّبه بابن القين طعنًا مباشرًا في أساس بيته وشرفه وفقًا لمخزونه الثقافي والتاريخي في هذا المجال؛ إذ إنّ جريرًا يرى أنّ بني مجاشع جميعًا قيون على زعمه، إذن فلا يغفل عن ذكر الكير الذي ينفخ به الحداد والعلاة والقَدُوم وهي للقين عدة لا يستغنى عنها. هذه المقطوعة الشعرية تنطوي على التهكم والاستهزاء؛ إلى حيث يهزأ جرير بالفرزدق فيقول يا فرزدق! لا فخر لك في بني مجاشع لأنّهم قيون جميعا، فانظر لعلك تجد فخرًا في نهشل. ثم يعيره ويوبخه لعدم قدرته على الأخذ بثأر والده من بني فقيم الذين قتلوا والده وهو بذلك ربّما يسعى إلى إزالة الستار عن جبن الفرزدق أو التشكيك في شجاعته وهدم مروءته وغيرته ليشوّه سمعته فيسقطه من أعين الناس.

٣-٣. تهميش النقاط السلبية للأنا

يهجو جرير الفرزدق في بعض أجزاء خطابه بأنّه ليس لديه شعر حقيقي أو صنعة الشعر الجيد، حيث يعتقد أنّه يحصي فقط القصائد الشعرية للشعراء السابقين؛ فمن ثمَّ، نرى الفررزدق يتجاوز نقاط ضعفه ويركّز على نقاط قوته الأدبية كحل أنسب في هذا المجال؛ حيث يدعي أنّه: تعلم الشعر من عباقرة اللغة العربية الذين كان لهم الفضل الكبير في حركة الشعر العربي نحو التطور والازدهار، وبهذه الطريقة يستخدم كل ما لديه من إمكانيات ويعطي قائمة طويلة بأسماء أفحل شعراء الجاهلية المعروفين الذين تعلم منهم، حيث يقول:

١. وَهَبَ القَصَـائدَ لي النّابغُ، إذْ ... وَأبُو يَزِيـدَ وَذو القُرُوحِ وَجَرْوَلُ
٢. وَالفَحْلُ عَلقَمَةُ الذي كانَتْ ... حُلَـلُ المُلُوكِ كَلامُـهُ لا يُنحَـلُ
٣. وَأخو بَني قَيْسٍ، وَهُنّ قَتَلْنَـهُ ... وَمُهَلْهِـلُ الشّـعَرَاءِ ذاكَ الأوّلُ
٤. وَالأعْشَـيانِ، كِلاهُمَا، وَمُرَقِّشٌ ... وَأخُو قُضَـاعَـةَ قَوْلُـهُ يُتَمَثّـلُ
٥. وَأخُو بَني أسَدٍ عَبِيدٌ، إذْ مَضَى ... وَأبُـو دُؤادٍ قَـوْلُـهُ يُـتَـنَـحّـلُ

٦. وَابْنَا أبي سُـــلْمَى زُهَيْرٌ وَابْنُهُ وَابنُ الفُرَيعَـةِ حِينَ جَـدّ المِقْوَلُ
٧. وَالجَعْفَرِيُّ، وَكَانَ بِشْـــرٌ قَبْلَهُ لِي من قَصـــائِدِهِ الكِتابُ المجمَلُ

(الفرزدق، ١٩٨٧م: ٤٩٣)

وهذا الخطاب يتمتع بقوة أكبر في الخطاب والسياسة والدهاء؛ حيث يدافع فيه جرير عن نسبه من خلال تقديم مشاهد حقيقية من دعمه لنفسه في صراعاته الغابرة مع الفرزدق الذي يلومه على افتقاره إلى نسب معروف. فمن هذا المنطلق، يفتخر الشاعر بقبيلة تميم، واصفًا إياها بأنّها جبل قوي، ويفتخر بأنّ بيته يقع على مكان مرتفع على الأرض، وهذه علامة على المكانة العالية لقبيلته، قائلًا:

١. إنّي إلى جَبَلَي تَميمٍ مَعقِلي وَمَحَـلُّ بَيتي في اليَفـاعِ الأَطوَلِ
٢. أَحلامُنـا تَزِنُ الجِبـالَ رَزانَـةً وَيَفوقُ جـاهِلُنـا فَعـالَ الجُهَّـلِ
٣. فَـاِســـأَل إِذا خَرَجَ الخِـدامُ حَربٌ تَضَـــرَّمُ كَالحَرِيقِ المِشـــعَلِ

(جرير، ١٩٨٦م: ٣٥٩ -٣٥٨)

جرير كان بمنزلةٍ أدنى من منزلة الفرزدق الذي كان بمنزلةٍ أعلى منه في القبيلة؛ لكنّه في المقطوعة الشعرية أعلاه يتجاهل هذا الأمر وللتستر على أصالته العائلية يعتبر نفسه متفوقًا على الفرزدق في هذا المجال ويشدّد عليه بشتّى الطرق. حاول جرير إبراز هويته باستخدام تراكيب لغوية مختلفة بنبرة فخرية ومبالغ فيها. تمكننا رؤية مثل هذا الهيكل في بنية نقيضة الفرزدق كذلك. ونتيجة لعمليات الاستقطاب وتأثيراتها ظهرت أيديولوجيا "الاعتداد بالأنا" لدى جرير؛ حيث نجدها بوضوح في توظيفه لضمائر المتكلم في خطابه الديالكتيكى التفاخري المتصلب. ويتّضح أنّه يعرف الأيديولوجيا، ويحلل علاقات القوة، ثمّ في نص قصيدته، يخلق هيمنةً نَسبيةً تتجلى في نسيج العناصر المكونة للنص.

٣-٤. تهميش النقاط الإيجابية للآخر

يتحول استمرار الخطاب بين الشاعرين إلى جانب يهمش النقاط الإيجابية لخطاب الرقيب؛ يتّضح أنّ جريرًا من الشعراء البارزين في العصر الأموي، لدرجة أنّ بعض النقاد فضلوه أيضًا على الفرزدق والأخطل في المجالات الأدبية. لكننا نرى الفرزدق مفتخرًا بأشعاره الموروثة عن نوابغ الأدب العربي

أمثال امرئ القيس والحطيئة والمهلهل .... وغيرهم ويعتبر جريرًا كأحد لصوص قصائده، وهو بذلك يريد أن يحطم عظمة جرير الشعرية ويقلل من مكانته الشعرية والأدبية الرائعة:

١. وَهَبَ القَصَـــائدَ لي النّابغُ، إذْ وَأبُو يَزِيـدَ وَذو القُرُوحِ وَجَرْوَلُ
٢. وَلَقَـدْ وَرِثْـتُ لآلِ أوْسٍ مَنْطِقًـا كَالسّـــمّ خالَطَ جانِبَيْهِ الحَنْظَلُ
٣. إنّ اســترَاقَكَ يا جَرِيرُ قَصَـائِدِي مِثْلُ ادّعَاءِ سِـــوَى أبِيكَ تَنَفَّلُ

(الفرزدق، ١٩٨٧م: ٤٩٣-٤٩٤)

يحقر جرير والدة الفرزدق فينكر عظمة أخواله وكراماتهم ويوجه شجاعته الانتقادية إليهم، موبّخا إياهم بأنّهم ليسوا من الكرماء وأفاضل الناس والأشراف. فمن هذا المنطلق، إنّ جريرًا لكي يتمكن من التكتم على ضعفه في مجال قلة أصالة الأم، يبدأ بتحقير والدة الفرزدق ويعتبرها بلا أصل ونسب، فإنّه يريد بذلك تهميش النقاط الإيجابية المتعلقة بالفرزدق فيؤكد على هذه النقطة السلبية المصطنعة للتستر على أصالته العائلية؛ حيث يقول:

١. كـانَ الفَرَزدَقُ إذ يَعوذُ بِخـالِـهِ مِثـلَ الـذَليـلِ يَعوذُ تَحـتَ القَرمَـلِ
٢. وَافخَر بِضَـــبَّةَ إنَّ أُمَّكَ مِنهُمُ لَيسَ اِبنُ ضَـــبَّـةَ بِالمِعَمِّ المِخوَلِ
٣. أَبلِغ بَني وَقبـانَ أَنَّ حُلومَهُم خَفَّـت فَمـا يَزِنونَ حَبَّـةَ خَردَلِ
٤. خُصِيَ الفَرَزدَقُ وَالخَصاءُ مَذَلَّةٌ يَـرجـو مُخـاطَـرَةَ الـقُـرومِ الـبُـزَّلِ

(جرير، ١٩٨٦م: ٣٥٩)

إنّ المهاجاة بين الشاعرين التي دامت طويلا، يرمز إلى معارضة تيارين وأيديولوجيين يدعيان كل منهما الهيمنة في خطابهما. وبما أنّ جريرًا يعرف أنّ قوة الفرزدق هي أخواله والمكانة الاجتماعية العالية لقبيلته، يركّز على تهميش نقاط الفرزدق الإيجابية وينوي بها التفريق بين هويته الغالبة وهوية الرقيب. وهذا المشهد الشعري يعتبر مواجهة لهاتين الشخصيتين المرموقتين واصطفافهما ضد بعضهما البعض؛ حيث يسعى كل طرف منهما إلى إضفاء الشرعية على فكره وأيديولوجيه الخاص. في المجال ذاته، إنّ المربع الأيديولوجي يسلط الضوء على السمات المتناقضة للخطابات ويبرر وجود الاستقطاب بين الأنا والآخر.

من خلال تطبيق المربع الأيديولوجي لفان دايك على نظام الخطاب في النقيضتين المدروستين، تبين أنّ إبراز النقاط السلبية للآخر في كلتا النقيضتين أقوى بكثير من إبراز النقاط

الإيجابية للأنا وهكذا خلقت عملية الاستقطاب وخلق المسافة بين الذات والآخر. بإمكاننا أن نرجع سبب هذا التردد العالي لإبراز النقاط السلبية إلى حقيقة وهي أنّ أساس النقائض يقوم على السخرية وإبراز النقاط السلبية للآخر.

٤ .المستويات الأساسية للخطاب

تتيح البصيرة النقدية فهم كيف يمكن التأثير على أنماط تفكير الأفراد وطريقة إدراكهم للقضايا الاجتماعية، وفي الحقيقة، الهيمنة على مواقفهم الفكريّة. يمكن القول إنّ اللغة مؤلفة اجتماعية عملية تتعامل مع الأيديولوجيا والسلطة والتاريخ والمجتمع، ومن ناحية أخرى، فإنّ السياقات التاريخية وعلاقات القوة والسلطة والمؤسسات الاجتماعية والأيديولوجية تخلق النص والكلام (فيركلاف، ١٣٨٧ش: ٢٣٥-٢٣٠). في المجال ذاته، يحتوي المستوى الخاص والأساسي للخطاب بين الشاعرين الأمويين في نقيضتيهما الهجائية على مستويات مختلفة مثل المعنى، والعنوان والتركيبات الشكلية، وأشكال الخطاب وإنشاء المسافة أو الفاصلة (كسايي ورحيميان، ١٣٩١ش: ٢٢).

٤-١. معنى الخطاب

يعتقد فان دايك أنّ الأيديولوجيا يمكن أن تظهر في أيّ مكان في الخطاب، لكن محتوى هذه الأيديولوجية يتجلى مباشرة في المعنى (Van Dijk, ٢٠٠٦: ١٢٨) فهو يقدم جوانب مختلفة من المعنى، بما في ذلك العنوان ومقدار التفاصيل ومستوى الوصف والتركيبات الشكلية، وأشكال الخطاب وإنشاء المسافة أو الفاصلة [بين الأنا و الآخر]. يمكننا القول إنّ اللغة تحمل الأيديولوجيا بطرق مختلفة وعلى مستويات مختلفة. وفي السياق ذاته، يقول فيركلاف، إنّ الكلمات والافتراضات والمراجع الضمنية والاستعارات والترابط تشكل جميعها جوانب من المعنى قد يكون لها عبء أيديولوجي، وفي غضون ذلك، حتى جوانب أسلوب النص قد تكون ذات أهمية أيديولوجية (فيركلاف، ١٣٨٧ش: ١٠٠-٨٠). وفقا لرأيه، بالإضافة إلى الهياكل اللغوية، توجد الأيديولوجيا أيضًا في الأحداث، وهناك علاقة جدلية بين الهياكل والأحداث. في غضون ذلك، ووفقًا لرؤية فيركلاف، فإنّ الخطاب، من ناحية، يتشكل من خلال الهياكل، ومن ناحية أخرى، يساهم في إعادة تشكيل الهياكل وإعادة إنتاجها وتغييرها (المصدر نفسه: ٩٨).

٤-١-١. العنوان

إنّ العنوان هو بطاقة دعوة للقراءة يلعب دورًا كبيرًا في إثارة القارئ وجلب انتباهه إلى الموضوع الرئيسي وله دور حاسم في تغطية المعنى أو تقديمه. يمكن أن يظهر المعنى في عنوان الخطاب؛ لأنّ العنوان مرآة تعكس المعنى الخفي للنص الذي يمثل المخبأ والأيديولوجيا التي تحكم خطاب النص (أمرائي، ١٣٩٩ش: ١٠٣). إنّ التأمل البسيط في مطلع قصيدتي الفرزدق وجرير يظهر أنّ كل شاعر بدأ حديثه بالطرق المفضلة لديه. فمن هذا المنطلق، بدأ الفرزدق قصيدته بمطلع تفاخري شامل يدور على معنى واحد، هو قوة الفرزدق النسبي والقومي، وتفوقه المطلق على جرير بن عطية؛ حيث بدأ قصيدته بـ«إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنى لَنَا بَيْتًا، دَعَائِمُهُ أعَزُّ وَأطْوَلُ ...» وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على تعاظم النفس وفخر الشاعر بالآباء والأجداد وبيان عظمتهم. من الملاحظ أنّ الشاعر وظف العبارات الاسمية المفيدة للاستمرارية والدوام، فحاول اعتبار عظمة أسلافه شيئًا متأصلًا وأساسيًا. وفي الخطوة التالية، فإنّ كلمة "بَيْتًا" النكرة التي تدلّ على شيء من التعظيم والرفعة لمكانة آباء الفرزدق، والتي هنا تعتبر استعارة تصريحية أصلية من كرامة نسب الفرزدق وعظمتهم. وفي مجال آخر، عندما نمعن النظر في قصيدة جرير لنلاحظ أنّه بدأ قصيدته بهذا المطلع الغنائيّ: «لِمَنِ الدِيارُ كَأَنَّهالَمَ تُحلَلِ بَينَ الكِناسِ وَبَينَ طَلحِ الأَعزَلِ ...» حيث افتتحها بالوقوف على آثار ما تبقى من ديار المحبوبة أولًا ثمّ تعرض لسخرية الفرزدق وتحطيم بيته وشرف مأواه. من الملفت للانتباه، أنّ مطلع قصيدتي الفرزدق وجرير توفّر للمتلقي إطارًا رمزيًا من الدال المركزي وتشكل صورته الذهنية لإبرازات النص وتهميشاته.

٤-١-٢. مقدار التفاصيل ومستوى الوصف

يحاول منتج الخطاب التعبير عن المعنى بشكل أوضح من خلال الاهتمام بالتفاصيل والأوصاف المتعددة. تحتوي القصيدتان على عناصر وصفية وتفسيرية وتفاصيل محددة ينوي وراء كلّ منها الشاعر توضيح النقاط البارزة في الأنا وتهميش أبرز ما في الآخرين. في المجال ذاته، لم يكتف الفرزدق بالاعتداد بنفسه وقومه وأخواله وأعمامه بل افتخر أيضًا بشاعريته. وفي هذا السياق، عندما يريد الفرزدق أن يفتخر بقصائده، وأن يثبت تفوقه الأدبي على جرير، فإنّه يهتم بتفاصيل شخصية محددة لخطاب لتوضيح معناه وفكرته ويفتخر بشاعريته التى ورثها عن الشعراء الفحول؛ حيث يقول:

١. وَهَبَ القَصَـائدَ لي النّوابغُ، إذْ وَأبُو يَزِيـدَ وَذو القُرُوحِ وَجَرْوَلُ
٢. وَالفَحْلُ عَلقَمَةُ الذي كـانَتْ حُلَـلُ المُلُوكِ كَلامُـهُ لا يُنحَـلُ

٣. وَأخو بَني قَيْسٍ، وَهُنّ قَتَلْنَـهُ وَمُهَلْهِـلُ الشّـــعَرَاءِ ذاكَ الأوّلُ
٤. وَالأعْشَـــيانِ، كِلاهُمَا، وَمُرَقِّشٌ وَأخُو قُضَـــاعَـةَ قَوْلُـهُ يُتَمَثّـلُ
٥. وَأخُو بَني أسَدٍ عَبِيدٌ، إذْ مَضَى وَأبُـو دُؤادٍ قَـوْلُـهُ يُـتَـنَـحّـلُ
٦. وَابْنَا أبي سُـــلْمَى زُهَيْرٌ وَابْنُهُ وَابنُ الفُرَيعَـةِ حِينَ جَـدّ المِقْوَلُ

(الفرزدق، ١٩٨٧م: ٤٩٣)

ذكر الفرزدق بعض التفاصيل المتعلقة بمصادر إلهاماته الشعرية عبر ذكر الجمل الوصفية وإحضار الشواهد الشخصية والإنسانية المؤثرة. إذن، فنراه يحصي مصادر إلهاماته الشعرية متمثلة في جزئيات شخصية كالنابغة الذبياني وأبُي يَزِيدَ وَذي القُرُوحِ وَجَرْوَلُ وعلقمة بن الفحل ومهلهل و... وغيرهم من الشعراء السابقين الذين يتيحون فرصة للشاعر أن يتفضل على الآخرين ويتلذذ من ذكر الجزئيات التي يتغذى منها مجده وكبرياؤه.

في ناحية أخرى، يصف جرير بعض الأحداث التاريخية وأسماء القبائل والأشخاص التي تكشف عن انهزامات بني تميم وخيباتهم بما فيه قتل والد الفرزدق على يد بني فقيم ونسبته إلى قيون العرب وفاجعة قتل الزبير بن العوام في أيامهم و ... إلخ؛ فإنّه من خلال القيام بتوصيف تلك الأحداث، يزعم الاستعلاء القبلي والقومي على الفرزدق والحط من شأن قبيلة الفرزدق وأصلها، قائلًا:

١. وَامدَح سَـــراةَ بَني فُقَيمٍ إنَّهُم قَـتَـلـوا أَباكَ وَثَأرُهُ لَم يُـقـتَـلِ
٢. وَدَعِ البَراجِمَ إنَّ شِـــربَكَ فيهِمُ مُـرٌّ عَـواقِبُـهُ كَـطَـعـمِ الحَـنـظَـلِ
٣. طَلَبَت قُيونُ بَني قُفَيرَةَ سـابِقًا غَمرَ البَديهَةِ جامِحًا في المِســحَلِ
٤. قُتِلَ الزُبَيرُ وَأَنـتَ عـاقِدُ حُبوَةٍ قُبـحًـا لِحُبـوَتِـكَ الَّتي لَم تُحلَـلِ

(جرير، ١٩٨٦م: ٣٥٧-٣٥٨)

٤-١-٥. إنشاء المسافة أو الفاصلة

هناك أسلوب آخر يشارك في خلق المعنى للخطاب وهو خلق المسافة أو الفاصلة في الخطابات (Walker, 2011: 362). إنّ استخدام الضمائر بدلًا من الأسماء في اللغة العربية يعتبر إحدى الأدوات المعرفية الاجتماعية في تقديم قطب الأنا والآخر (حيدا، ٢٠١٥: ٦٢). في المجال ذاته، إنّ الفرزدق، للإشارة إلى الدال المركزي للخطاب (الفخر والهجاء)، وهو إبراز نقاطه الإيجابية، يؤكّد على

استقطاب نظام الخطاب التفاخري ويخلق فجوات عميقة بين قطبي الإبراز للأنا والتهميش للآخر؛ حيث يقول:

١. يا ابن المرَاغَـةِ أيْنَ خَـالُـكَ؟ إنّني خـالي حُبيشٌ ذو الفَعـالِ
٢. خالي الذي غَصَـــبَ المُلوكَ وإلَيْـهِ كَـانَ حِبَـاءُ جَفْنَـةَ يُنْقَـلُ
٣. إنّا لَنَضـــرِبُ رَأسَ كُـلّ قَبِيلَةٍ وأَبُـوكَ خَـلْـفَ أتَانِـهِ يَـتَـقَـمّـلُ
٤. وَشُـغِلتَ عن حَسـبِ الكِرَامِ إنّ اللّئيمِ عَنِ المَكَـارِمِ يُشْـــغَـلُ
٥. إنّ الّتي فُقِئَتْ بِهَا أبْصَـــارُكُمْ وَهي التي دَمَغَتْ أباكَ، الفَيصَـــلُ

(الفرزدق، ١٩٨٧م: ٤٩٢-٤٩٣)

وفي مجال آخر، يستفيد الفرزدق كذلك من ضمير «نا» و«و» و«هم» مشيرًا إلى أخواله وأعمامه، فيقوم بإيجاد الفاصلة وخلق المسافة بين الأنا والآخر، قائلًا:

١. إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنى لَنَا بَـيْـتًـا، دَعَـائِـمُـهُ أعَـزُّ وَأطْـوَلُ
٢. بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا المَلِيكُ، ومَا بَنى حَكَمُ السّـــمَـاءِ، فـإنّـهُ لا يُنْقَـلُ
٣. بَيْتًـا زُرَارَةُ مُحْتَـبٍ بِفِنَـائِـهِ وَمُجَاشِـــعٌ وَأبُو الفَوَارِسِ نَهْشَـــلُ
٤. يَلِجُونَ بَيتَ مُجاشـــعٍ، وَإذا بـزُوا كَـأنّهُـمُ الجِـبَـالُ المُـثّـلُ
٥. مِنْ عِزّهِمْ جَحَرَتْ كُلَيبٌ بَيتَها زَرْبًا، كَـأنّهُـمُ لَـدَيْـهِ الـقُـمّـلُ

(المصدر نفسه: ٤٨٩-٤٩٠)

في المقابل، نلاحظ جريرًا يستخدم في قصيدته ضمائر المخاطب والمتكلم للإشارة إلى الدال المركزي (الهجاء) لإبراز النقاط السلبية للفرزدق وقبيلته وتسليط الضوء على نقاطه الإيجابية. وهكذا تحدث عملية الاستقطاب وخلق المسافة بين الذات والآخر في شعر جرير، قائلا:

١. أَخزى الَّذي سَمَكَ السَـــماءَ وَبَنى بِناءَكَ في الحَضيضِ الأَسـفَلِ
٢. بَيْتًـا يُحَمِّمُ قَينُكُم بِفَنـائِـهِ دَنِسَـــا مَقاعِدُهُ خَبيثَ المدخَلِ
٣. وَلَقَد بَنَيتَ أَخَسَّ بَيتٍ يُبتَنى فَهَـدَمـتُ بَيتَكُمُ بِمِثلَي يَـذبُـلِ
٤. إِنّي بَنى لِيَ في المكـارِمِ أَوَّلي وَنَفَخـتَ كيرَكَ في الزَمـانِ الأَوَّلِ

(جرير، ١٩٨٦م: ٣٥٧-٣٥٨)

يسعى الشاعر عبر توظيف ضمائر المخاطب والمتكلم إلى خلق المسافة بينه وبين الفرزدق. وبذلك يقصد خلق الاستقطاب بين الأنا والآخر؛ إلى حيث يعتبر نفسه وقبيلته ناجحين تمامًا في قطب الأنا ويعتبرهم منكسرين ومهضومين في قطب الآخر.

٤-١-٦. البنية الخبريّة

تتكّون كل جملة نسمعها أو نقرأها من جزئين: المسند إليه والمسند. وتخبر كل جملة أخبارًا عن شخص ما أو شيء ما بشكل عام (Van dijk, 2006: 130). في المجال ذاته، يسعى محلل الخطاب النقدي إلى إيجاد العلاقة بين الهياكل اللغوية والأيديولوجية الخفية وراء الخطاب حتى يكشف عن كيفية تمثيل الوظائف الاجتماعية للطبقات التحتية من الخطاب في الطبقات الفوقية. تتمثل إحدى هذه الطرق في معرفة بنية خبرية للخطاب ومكوناته، أي الموضوع والمحمول (*المصدر نفسه*: ١٣٠). يرى فان دايك أنّ موضوع الخطاب ومحموله هو إعادة إنتاج التفوق الاجتماعي (أعظمي خويرد وعرب يوسف-آبادي، ١٣٩٩ش: ١٢٣) في خطاب النقائض؛ يقول:

١. وإذا بَكَيْتَ على أُمَامَةَ، قَوْلًا يَعُمّ، وَتَارَةً يُتَنَحّلُ
٢. أسألْتَني عنْ حُبْوَتي ما بَالُها فيسألْ إلى خَبَرِي وَعَمّا تَسْألُ
٣. فاللّؤمُ يَمْنَعُ مِنْكُمُ أنْ تَحْتَبُوا والعِزُّ يَمْنَعُ حُبْوَتي لا تُحْلَلُ
٤. والله أثْبَتَهَا، وَعِزٌّ لَمْ يَزَلْ مُقْعَنْسِسًا، وَأبِيك، ما يَتَحوّلُ
٥. إني ارْتَفَعْتُ عَلَيْكَ كُلَّ ثَنِيّةٍ وَعَلَوْتُ فَوْقَ بَني كُلَيبٍ من عَلُ
٦. هَلاّ سَألْتَ بَني غُدانَةَ ما رَأوْا حَيْثُ الأتَانُ إلى عُمُودِكَ تُرْحَلُ

(الفرزدق، ١٩٨٧م: ٤٩٥)

من ناحية أخرى، يتطرّق جرير إلى خلق الاستقطاب؛ حيث يذكر عيوب الفرزدق والكشف عن خصائصه السلبية ويبرز نقاط قبيلته الإيجابية:

١. أَبُنَيَّ شِعرَةَ لِم تَسُدُّ طَرِيقَنا بِالأَعمَيَينِ وَلا قُفَيرَةَ فَازحَلِ
٢. وَلَقَد تَبَيَّنَ في وُجوهِ مُجاشِعٍ لُؤمٌ يَثورُ ضَبابُهُ لا يَنجَلي
٣. وَلَقَد تَرَكتُ مُجاشِعًا وَكَأَنَّهُم فَقعٌ بِمَدرَجَةِ الخَميسِ الجَحفَلِ
٤. إِنّي إِلى جَبَلَي تَميمٍ مَعقِلي وَمَحَلُّ بَيتي في اليَفاعِ الأَطوَلِ
٥. أَحلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً وَيَفوقُ جاهِلُنا فَعالَ الجُهَّلِ

(جرير، ١٩٨٦م: ٣٥٨)

إنّ البنية النحوية المتشكلة من الموضوع والمحمول في الأمثلة المذكورة أعلاه تبرز كيفية استقطاب الأنا مع الأخر بحيث يتكوّن قطب الأنا في الفقرة الشعرية الأولى من موضوعات (ي- ي-ي- ي- ي- تُ - تُ)، بشكل أساسي في معارضة موضوع القطب الآخر (تَ- أنت- تَ- أنت-كم- و- ك- ك-تَ - ك)، وفي الفقرة الشعرية الثانية يتألف قطب الأنا من الموضوعات: (نا- تُ- ي- ي- ي-ي-نا- نا). وموضوع قطب الآخر يشمل الضمائر: (أنت- هم-هم). إنّ الممعن النظر في الموضوعات المستخدمة ليرى أنّ كلا الشاعرين قد أنشدا القصيدتين في اتّجاهين متعاكسين مع بعضهما البعض، وهذه الازدواجية القطبية في شعرهما واضحة جدًا بحيث يمكن رؤيتها في تعدد الضمائر المستخدمة في النص في شكل الأنا الذي قد أدّى إلى تشويه هوية الرقيب (الآخر) وتهميشها.

وأما فيما يخصّ بالمحمولات أو المسندات في الجمل فينطبق الشيء نفسه عليها، وقد أخذ كلا الشاعرين مسندات ثنائية القطب من أجل التفوق على منافسيهما في الأداء. وهكذا، من خلال الآليات المعجمية التي تسيطر على تماسك النص ومعناه، يتمّ التأكيد على إبراز سمات الأنا الإيجابية مقابل السمات السلبية للآخر.

٤-١-٧. التركيبات الشكلية

يقدم فان دايك الخطاب كشكل من أشكال استخدام اللغة، على سبيل المثال، في خطاب أو حتى بشكل عام، في لغة منطوقة أو طريقة التحدّث. يجادل فان دايك بأنّ منتج الخطاب يستخدم الكلمات والأشكال التي تشير مباشرة إلى الأيديولوجية الكامنة وراء الخطاب (Van Dijk, 2002: 92). وفي المجال ذاته، إنّ تشابه البنى الشكلية المستخدمة لإثبات مفهوم الهوية والسلطة يجعل خطاب كلا النقيضتين أن يجد أرضية مشتركة ويكون له تصميمات خطاب متشابهة تخضع لعلاقات القوة والإيديولوجيا (أعظمي خويرد وعرب يوسف‌آبادي، ١٣٩٩ش: ١٢٠). إنّ إبراز بعض الكلمات والعبارات في النص كتكرار اسم تفضيل (١٦مرة) حيث وظّف الفرزدق هذه الصيغ التفضيلية التي تدل في أغلب صوره على الاستمرار و الدوام؛ ليؤكد على نسبه العريق وأنّ بيته أعز وأطول من بيت جرير. ومنه ما يقول:

١. إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنى لَنَا بَـيْـتًـا، دَعَـائِـمُـهُ أعَـزُّ وَأطْـوَلُ

٢. جَبَلي أعَزُّ، إذا الحُرُوبُ مِمّا بَنى لَكَ وَالِداكَ وَأفْضَلُ

(الفرزدق، ١٩٨٧م: ٤٨٩)

وكذلك ضمائر المتكلم الجمعي «نا» (١٦مرة) وضمير «هم» الراجع إلى أخواله وأعمامه (٢٤مرة) يعتبر أحد التركيبات الشكلية لنقيضة الفرزدق. والجملات الاسمية (75) الدالة على الثبوت والاستمرار لهذه الإبرازات التفاخرية مثل ما جاء في الأبيات الآتية التي تسعى إلى إبراز الميزات الإيجابية للأنا (الفرزدق وقبيلته) وتشويه هوية الآخر (جرير وقبيلته) وتهميشها، قائلًا:

١. وَهُمُ على ابنِ مُزَيْقِيَاءَ تَنَازَلُوا والخَيلُ بَينَ عَجاجَتَيها القَسطَلُ
٢. وَهُمُ الذينَ على الأمِيلِ تَدارَكُوا نَعَمًا يُشَلُّ إلى الرّئيسِ وَيُعكَلُ
٣. وَهُمُ الذِينَ عَلَوْا عَمَارَةَ ضَرْبَةً فَوْقَ شُؤونِهِ لا تُوصَلُ
٤. وَهُمُ، إذا اقتَسَمَ الأكابِرُ، رَدَّهُمْ وَافٍ لضَبّةَ، وَالرَّكَابُ تُشَلَّلُ

(المصدر نفسه: ٤٩٢)

وكذلك تكرار ضمائر المخاطب (تَ) (١٧مرة) وضمير (ك) (٢٥مرة) وضمير (كم) (٤مرات) للتهميش جرير وقبيلته وتكرار الجملات الاستفهامية والتشبيهية وتكرار الصفات السلبية المنسوبة إليهم (١٦مرة) و... إلخ. كما وظف الشاعر الأفعال ذات الدلالة السالبة لإبراز النقاط السلبية لجرير وقبيلته، ومنها «يا ابن المرَاغَةِ أيْنَ خَالُكَ؟، لا يَجْتَبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مثْلُهُمْ أبدًا، مِنْ عِزّهِمْ جَحَرَتْ كُلَيبٌ بَيتَها زَرْبًا، كَأنّهُمُ لَدَيْهِ القُمّلُ، مِمّنْ يَكُونُ بَنُو كُلَيْبٍ رَهْطَهُ، أوْ مَنْ يَكُونُ إلَيْهِمُ يَتَخَوّلُ، وأَبُوكَ خَلْفَ أتَانِهِ يَتَقَمّلُ، وابنُ المرَاغَةِ يَدَّعي مِنْ دارِمٍ، وَالعَبْدُ غَيرَ أبِيه قَدْ يَتَنَحّلُ أزْرَى بجَرْيِكَ أنّ أُمّكَ لَمْ تَكُنْ إلاّ اللّئِيمَ مِنَ الفُحُولَةِ تُفحَلُ...».

فقد استخدم جرير التراكيب الشكلية في نقيضته الهجائية ضد الفرزدق. ومنها إبراز هوية الشاعر عبر توظيف ضمائر المتكلم الجمعي «نا» (٨مرات) والفردي «تُ» (١٧مرة) و«ي» (١٣مرة) الذي يدل على اعتداد جرير بنفسه في الفخر ببني تميم عبر توظيف التركيبات الشكلية الموجودة في نقيضته، ومنها ما يكرره من الأنا الفردي، ردًا على الترفّع واستعلاء الفرزدق القومي:

١. إنّي إلى جَبَلَي تَميمٍ مَعقِلي وَمَحَلُّ بَيتي في اليَفاعِ الأَطوَلِ
٢. أَحلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً وَيَفوقُ جاهِلُنا فَعالَ الجُهَّلِ
٣. فَارجِع إلى حَكَمَي قُرَيشٍ إنَّهُم أَهلُ النُبُوَّةِ وَالكِتابِ المنزَلِ

(جرير، ١٩٨٦م: ٣٥٨)

فهو بهذه الفقرة الشعرية يسعى إلى الدفاع الشامل عن نسبه بـ"الأنا "الفردي المفعم بالفخر والاعتداد يبرز فيها الاستعلاء وإبراز الأنا (جرير وقبيلته) وتهميش الآخر (الفرزدق وقبيلته)؛ حيث نرى الشاعر يهجو الفرزدق وأخواله؛ فيقول:

١. كـانَ الفَرَزدَقُ إذ يَعوذُ بِخـالِـهِ مِثـلَ الـذَليـلِ يَعوذُ تَحـتَ القَرمَـلِ
٢. وَإفخَر بِضَـــبَّةَ إنَّ أُمَّكَ مِنهُمُ لَيسَ اِبنُ ضَـــبَّـةَ بِالمِعَمِّ المِخوَلِ
٣. وَقَضَـــت لَنا مُضَـــرٌ عَلَيكَ وَقَضَـت رَبيعَةُ بِالقَضـاءِ الفَيصَـلِ

(المصدر نفسه: ٣٥٩)

والجملات الاسمية (٢٩مرة) هي التي تدل على إثبات الفخر والاعتزاز الدائم وكذلك تكرار ضمائر المخاطب (١٢مرة) وتوظيف الأفعال والصفات ذات العبء الدلالي السالب لإبراز النقاط السلبية للفرزدق وقبيلته، ومنها «أَخزى الَّذي سَمَكَ السَماءَ مُجاشِعًا، بَيتًا يُحَمِّمُ قَينُكُم بِفَنائِهِ، أَعيَتكَ مَأثُرَةُ القُيونِ مُجاشِعٍ، قَتَلوا أَباكَ وَثَأرُهُ لَم يُقتَلِ، حَسبُ الفَرَزدَقِ أَن تُسَبَّ مُجاشِعٌ، أَبُنَيَّ شِعرَةَ لِم تَسُدُّ طَريقَنا و... إلخ. بحيث يتجلى فيها إبراز الأنا (جرير وقبيلته) وتهميش الآخر (الفرزدق وقبيلته).

٤-١-٨. أشكال الخطاب

يؤدي وضع الكلمات في محور الرفقة والمجاورة للخطاب إلى تكوين أشكال الخطاب، والتي تعطي للإيديولوجيًا تصميمًا خاصًا في النص. يتمّ تجميع وحدات كلّ سلسلة كلامية معًا وفقًا لقاعدة خاصة ولنقل رسالة إلى المخاطب. في نقيضتي الفرزدق وجرير، فإنّ تجاور بعض الكلمات في اتجاه إبراز الأنا وتهميش الآخر، جعل وحدات الكلام تصاحب بعضها البعض وتكون فعالة في هيمنة الخطاب (أعظمي خويرد وعرب يوسف‌آبادي، ١٣٩٩ش: ١٢٣). إنّ مرافقة وحدات مثل: «إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بَنى لَنا بَيْتًا، بَيْتًا بَناهُ لَنَا المَلِيكُ، بَيْتًا زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ، وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ، مِنْ عِزِّهِمْ جَحَرَتْ كُلَيبٌ بَيتَها، أينَ الّذِينَ بِهِمْ تُسَامي دارمًا، وَالمانِعُونَ، إذا النّساءُ تَرَادَفَتْ، الأَكْثَرُونَ إذا يُعَدّ حَصَاهُمُ، والأَكْرَمُونَ إذا يُعَدّ الأَوّلُ، أَحْلامُنَا تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً، وأَنَا ابنُ حَنظَلَةَ الأَغَرُّ، يا ابن المرَاغَةِ أَيْنَ خَالُكَ؟ إنّني خالي حُبيشٌ ذو الفَعالِ الأفضَل، إنّا لَنَضرِبُ رَأسَ كُلّ قَبِيلَةٍ، وأَبُوكَ خَلْفَ أتَانِهِ يَتَقَمّلُ، وَهَبَ القَصَائدَ لي النّوابغُ، إذْ مَضَوْا، وَأَبُو يَزِيدَ وَذو القُرُوحِ وَجَرْوَلُ، إنّ استرَاقَكَ يا جَرِيرُ

قَصَائِدِي، مِثْلُ ادِّعَاءِ سِوَى أبِيكَ تَنَقَّلُ و... إلخ»، في نقيضة الفرزدق تنقل المعنى والمفهوم الذي يقصده الشاعر / الفخر والاعتزاز بالنفس وبقبيلته ثم هجاء جرير وقبيلته.

وفي المجال نفسه، فإنّ مرافقة وحدات مثل: « أَعدَدتُ لِلشُعَراءِ سُمًّا ناقِعًا، أَخزى الَّذي سَمَكَ السَماءَ مُجاشِعًا، بَيتًا يُحَمِّمُ قَينُكُم بِفَنائِهِ، دَنِسًا مَقاعِدُهُ خَبيثَ المدخَلِ، وَامدَح سَراةَ بَني فُقَيمٍ إِنَّهُم قَتَلوا أَباكَ وَثَأرُهُ لَم يُقتَلِ، حَسبُ الفَرَزدَقِ أَن تُسَبَّ مُجاشِعٌ، لا تَذكُروا خُلَلَ الملوكِ فَإِنَّكُم بَعدَ الزُبَيرِ كَحائِضٍ لَم تُغسَلِ، إِنّي إِلى جَبَلَي تَميمٍ مَعقِلي وَمَحَلُّ بَيتي في اليَفاعِ الأَطوَلِ، أَحلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً وَيَفوقُ جاهِلُنا فَعالَ الجُهَّلِ، و....» في شعر جرير تدلّ على هجاء الفرزدق وقبيلته ثمّ الفخر بنفسه وقبيلته. يحتوي هذا التوافق في كلتا النقيضتين على رؤية الشاعرين وإيدئولوجيهما الخاص للعالم، والتي تضفي الطابع المؤسسي على المادة الخام للتجربة في عالم ذي معنى في ذهن المخاطبين. في الواقع، تمكن كل من الفرزدق وجرير من خلال مرافقتهما لبعض الوحدات اللغوية من إعطاء تماسك دلالي ولفظي مقبول لنظام الخطاب. لذلك، من خلال التأكيد على معنى هذه الوحدات، أوجدوا وحدة موضوعية ولغوية خاصة.

النتيجة

لقد تمخض المقال عن نتائج أهمّها كالتالي:

١.لتحليل الخطاب مكانة خاصة في دراسة خطابات الشعراء وتهميشها واكتشاف تفاعلاتهم اللغوية مع الهياكل الأيديولوجية. وفي السياق ذاته، فإنّ نقائض جرير والفرزدق تُعدُّ من أهمّ الظواهر الأدبية للغة العربية، والتي تقوم على الإبراز والتهميش؛ بحيث استخدم هذان الشاعران، في نقيضتيهما المدروستين، أدوات الخطاب خاصة للتأكيد على هويتهما (الأنا) وتهميش الهويات الرقيب (الآخر).

٢.من خلال تطبيق المربع الأيديولوجي لفان دايك على نظام الخطاب في النقيضتين المدروستين، تبيّن أنّ إبراز النقاط السلبية للآخر في كلتا النقيضتين أقوى بكثير من إبراز النقاط الإيجابية للأنا وهكذا تمّ خلق عملية الاستقطاب وخلق المسافة بين الذات والآخر. بإمكاننا أن نرجع سبب هذا التردد العالي لإبراز النقاط السلبية إلى حقيقة خاصة هي أنّ قوام النقائض يعتمد أساسًا على السخرية وإبراز النقاط السلبية للآخر.

٣.بالمقارنة بين وجود الأنا الفردية (الإنسانية) والأنا الجماعية في خطاب النقيضتين، ظهر أنّ الأنا الفردية مهيمنة بشكل جلي في الخطاب وذلك لتجسيد الجانب الإيجابية لنفسية الشاعر.

٤.لقد شكلت البنى النحوية للجمل، إطارًا لمواجهة الأنا مع الآخر. وقد ظهر ذلك من خلال خلق الثنائية القطبية بين الأنا والآخر والتأكيد على سمات الأنا/الإيجابية مقابل السمات الآخر/السلبية. وكذلك الآليات المعجمية التي استحوذت على انسجام النص ومعناه.

٥.إنّ التوجّه إلى إثبات الهوية والإيديولوجيا هو السبب وراء تشابه البنى الشكلية للخطاب في النقيضتين، ومن أوجه هذا التشابه: التأكيد على بعض الصفات السلبية المنسوبة إلى الشاعرين، وتوظيف ضمائر المخاطب إلى جانب الإكثار من ضمير الأنا المتكلم، وكذلك تكرار الأفعال ذات العبء الدلالي السالب والباعث على إبراز النقاط السلبية للرقيب، وتشويه هويته وتهميشها.

٦. بدأ الفرزدق مطلع نقيضته بعبارات فخرية شاملة تدور على معنى واحد، هو قوة الفرزدق، وتفوقه المطلق. ولكن مطلع نقيضة الجرير يوفر للمتلقي إطارًا رمزيًا من الدال المركزي وهو التغزل بذكر حبيبته ثمّ هجاء الفرزدق وقبيلته.

٧. إنّ تجاور الكلمات في اتجاه إبراز الأنا وتهميش الآخر في كلتا النقيضتين، جعل وحدات الكلام تصاحب بعضها البعض وتكون فعالة في هيمنة الخطاب.

٨. إنّ كلا الشاعرين الأمويين قد أنشدا قصيدتيهما في اتجاهين متعاكسين مع بعضهما البعض، وهذه الازدواجية القطبية يمكن رؤيتها في تعدد الضمائر المستخدمة في النص في شكل الأنا الذي قد أدّى إلى تشويه هوية الرقيب (الآخر) وتهميشها.

المصادر

أ: الكتب

آقاگلزاده، فردوس (١٣٨٥ش)، **تحليل گفتمان انتقادی**. تهران: علمی و فرهنگی.

جرير بن عطية (١٩٨م)، **ديوان جرير**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

عكاشة، محمود (٢٠١٣)، **النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية): دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ**، القاهرة: مكتبة الآداب.

فالک، جوليا اس (١٣٧٢ش)، **زبان‌شناسی و زبان**، ترجمه: خسرو غلامعلی‌زاده، چ٢، مشهد: آستان قدس.

الفرزدق، همام بن غالب (١٩٨٧م)، **الديوان**، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ علي فاعور، بيروت: دارالكتب العلمية.

فرکلاف، نورمن (۱۳۸۷ش)، **تحلیل انتقادی گفتمان**، ترجمهٔ گروه مترجمان، چ ۲، تهران: دفتر مطالعات و توسعهٔ رسانه‌ها.

مکاریک، ایرنا ریما (۱۳۸۵ش)، **دانشنامهٔ نظریّه‌های ادبی معاصر**، ترجمه مهران مهاجر و محمّد نبوی، چاپ دوّم، تهران: آگه.

وان دایک، تئون (۱۳۸۲ش)، **مطالعاتی در تحلیل گفتمان: از دستور متن تا گفتمان کاوی انتقادی**، ویراستار مهران مهاجر محمد نبوی، تهران: مرکز مطالعات و تحقیقات رسانه‌ها.

یارمحمدی، لطف الله (۱۳۸۳)، **گفتمان شناسی رایج و انتقادی**، تهران: هرمس.

ب: الدوريات

اعظمی خویرد، حسن و عبدالباسط عرب یوسف‌آبادی (۱۳۹۹ش)، «تحلیل اجتماعی- شناختیِ گفتمان نقایض جریر و اخطل بر اساس مربع ون دایک»، **ادب عربی دانشگاه تهران**، دوره ۱۲، شماره ۲، صص ۱۰۹-۱۳۲.

آقاگلزاده، فردوس (۱۳۸٦ش)، «تحلیل گفتمان انتقادی و ادبیات»، **مجله ادب پژوهی دانشگاه گیلان**، شماره اول، بهار، صص ۲۷-۱۷.

امرائی، محمدحسن (۱۳۹۹ش)، «المؤشرات الأسلوبية والدلالية فی الخطبة الحادية عشرة بعد المائة للإمام علی (ع)»، **دراسات فی العلوم الإنسانية بجامعة تربيت مدرس**، دوره ۲۷، سال ۱۴۴۲ق، شماره ۲، صص ۹۷-۱۲۶.

ترکاشوند، فرشید (۱۳۹۵ش)، «**کاربرد تحلیل گفتمان انتقادی در ترجمه از عربی به فارسی**»، جستارهای زبانی دانشگاه تربیت مدرس، شماره ۳۲، صص ۱۰۲-۸۱.

حیدا، سمیرة (۲۰۱۵م)، «أسلوب الاستغراق والشمول: مغني اللبيب نموذجًا». **حوليات التراث بجامعة مستغانم**، السنة ۹. العدد۱۵. صص ٦۱-۷۲.

کسایی، علیرضا؛ و جلال رحیمیان (۱۳۹۱ش)، «بررسی کتاب اندیشهٔ اسلامی ۱ از دید تحلیل گفتمان انتقادی»، **مجله اندیشهٔ دینی دانشگاه شیراز**، دورهٔ ۱٤، شمارهٔ۲، صص ۱۳۱-۱۵۳.

ج: الإنجليزية

Fowler, Roger (1996) **Linguistic criticism**, (second edition), Oxford, Oxford University Press

Simpson, Paul, (1993) **Language, Ideology and Point of view**, London, Arnold.

A. Ideology and Discourse Analysis, **Journal of Political** .Van Dijk, T **Ideologies**. 11(2), 115-140. 2006.

Van Dijk, T.A. **Principles of Critical Discourse Analysis: in Critical Discoursc Analysis**, (ed.) M. Toolan, London: Routledge. 2002.

Walker, V. **Codeswitching as a power and solidarity strategy in the foreign language classroom: an analysis of language alternation strategies utilized in a Portuguese-English higher education class**. Innervate. Vol 3. .2011 PP. 362.363.

تحلیل گفتمان انتقادی شعر نقائض بر اساس نظریهٔ اجتماعی شناختی ون دایک

(مطالعهٔ موردی: نقیضه فرزدق و جریر)

نوع مقاله: پژوهشی

محمدحسن امرائی *

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه ولایت، ایرانشهر، ایران.

چکیده

تحلیل گفتمان انتقادی یکی از رویکردهای علمی در مطالعات زبانی است که تحلیل گفتمان را از سطح توصیف متن به سطح تفسیر ارتقا داده و از نظر دامنه تحقیق، سطح بافت را از موقعیت فرد نسبت به سطح کلان، یعنی جامعه، تاریخ و ایدئولوژی توسعه داده است. هدف اصلی از تحلیل گفتمان، دستیابی به یک روش جدید در مطالعه متون، رسانه‌ها، فرهنگ‌ها، علوم، سیاست، جامعه و مواردی از این دست است. در این مقاله، رویکرد اجتماعی- شناختی تئون ون دایک، به عنوان روش ویژه‌ای برای این تحقیق انتخاب شد، زیرا تحلیل گفتمان انتقادی در نزد وی، رویکردی متفاوت از دیگران یافته است. او با پیوند دادن سه مفهوم گفتمان، دانش و جامعه، مثلثی را ایجاد کرد که اساس تئوری متمایز وی در مورد تحلیل گفتمان انتقادی قرار گرفت. در همین زمینه، تناقض‌گویی‌های شاعرانه بین فرزدق و جریر در دوران اموی، از جمله آثاری است که می‌تواند در زمینه تحلیل گفتمان انتقادی مورد مطالعه قرار گیرد، زیرا به تحلیل‌گر و منتقد اجازه می‌دهد رابطه بین قدرت، ایدئولوژی و گفتمان در آن را فاش کند. این مقاله در تلاش است تا دو نقیضه هجوآمیز منتخب از فرزدق و جریر را با تکیه بر مربع ایدئولوژیک ون دایک که موضوع دو نقیضه را از منظر تأکید بر خود (ذات) و به حاشیه راندن دیگری (آخر) بررسی می‌کند، مورد تجزیه و تحلیل قرار دهد؛ تا نشان دهد که چگونه ایدئولوژی این دو شاعر در تقابل‌های هجوآمیز آنها نشان داده شده است. از برجسته‌ترین نتایجی که از طریق این مقاله به آن رسیدیم این است که برجسته‌کردن نکات منفی دیگری در هر دو نقیضه بسیار قوی‌تر از برجسته کردن نقاط مثبت خود است. در نتیجه روند دو قطبی‌سازی و فاصله بین خود و دیگری ایجاد شده است. شباهت ساختارهای صوری، گفتمان هر دو نقیضه را دارای زمینه‌های مشترکی قرار داده که دارای طرح‌های مشابه و تابع روابط قدرت و ایدئولوژی است.

کلیدواژه‌ها: تحلیل گفتمان انتقادی، ون دیک، برجسته‌سازی، به‌حاشیه بردن، نقائض، فرزدق، جریر بن عطیه.

* نویسنده مسئول m.amraei@velayat.ac.ir

Critical Discourse Analysis of Contradictory Poetry Based on Van Dyke's Cognitive Social Theory
(Case study: Farzadagh and Jarir contradiction)
Article Type: Research

MohamadHassan amraei*

Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Velayat University, iranshahr, Iran

Abstract

Critical discourse analysis is one of the scientific approaches in language studies that has raised discourse analysis from the level of text description to the level of interpretation and in terms of scope of research, has developed the level of context from the individual to the macro level, ie society, history and ideology. . The main purpose of discourse analysis is to achieve a new way of studying texts, media, cultures, sciences, politics, society and the like. In this article, Theon van Dyke's socio-cognitive approach was chosen as a special method for this research, because he has found a critical approach to critical discourse analysis. By combining the three concepts of discourse, knowledge, and society, he formed the triangle that formed the basis of his distinctive theory of critical discourse analysis. In this context, the poetic contradictions between Farzadagh and Jarir in the Umayyad period are among the works that can be studied in the field of critical discourse analysis, because they allow the analyst and the critic the relationship between power, ideology and discourse. Reveal it. This article tries to analyze the two satirical contradictions selected by Farzadagh and Jarir by relying on Van Dyke's ideological square which examines the subject of two contradictions from the perspective of self-emphasis (essence) and marginalization of the other (last). And put analysis; to show how the ideology of these two poets is shown in their satirical confrontations. One of the most prominent results we have reached through this article is that highlighting other negative points in both contradictions is much stronger than highlighting its positive points, resulting in a process of polarization and distance between oneself and another has been created. The similarity of formal structures puts the discourse of both contradictions in common contexts, which have similar designs and are a function of power-ideology relations.

Keywords: Critical Discourse Analysis, Van Dyke, Emphasis, Marginalization, Contradictions, Farzadagh, Jarir Ibn Atiyah.

* Corresponding Author m.amraei@Velayat.ac.ir